السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٤٧)

التَّعَرُّفُ عَلى قَدْرِ المُصْطَفَىٰ صَلَى الله عَلَيْهِ وَسَلَمَ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

مَا أَكْثَرَ مَحَاسِنهُ صَلَوَاتُ الله وَسَلامُهُ عليه

بَعْدَ هَذِه السِّياقةِ الرَّائِعَةِ في سِيْرَةِ المُصْطَفىٰ ﷺ ، حَيْثُ تَابَعْنَاهُ في مَكَّةَ المُكَرَّمَة ، ثُمَّ في المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ ، وَتَعَرَّفْنَا عَلَى بَعْضِ جَوَانِبِ حَيَاتِهِ ، لاَ بُدَّ لَنَا مِنَ التَّعَرُّفِ عَلَىٰ قَدْرِهِ العَظِيم.

فَقَدْ مَدَحَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ، وَعَدَّدَ بَعْضَ مَحَاسِنِهِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالىٰ : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1] .

وَكَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ لِلْعَرَبِ ـ وَخَاصَّةً أَهْل

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨ .

مَكَّةَ ـ : لَقَدْ بَعَثْتُ فِيْكُم هَذَا الرَّسُولَ ، فَهُوَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، يَعْرِفُكُمْ وَتَعْرِفُوْنَهُ ، وَتَعْلَمون صِدْقَهُ ، وَأَمَانَتَهُ ، فَهُوَ مِنْ حَسَبٍ وَنَسَبٍ ، وَهُوَ ﷺ مِنْ أَشْرَفِكِمْ ، وَمِنْ أَفْضَلِكُمْ ، وَأَرْفَعِكُمْ ، وَلِذَلِكَ أَعْطَيْتُهُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِي . وَهُمَا : الرَّؤُوفُ ، الرَّحِيْمُ .

مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُه تَعَالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1] .

فَنَبِيُّنَا صَلَوَاتُ الله وَسَلامُهُ عليه رَحْمَةٌ لِجَمِيْعِ الخَلْقِ : لِلْمُؤْمِنِيْنَ ، وَلِلْكَافِرِيْنَ ، وَلِلْمُنَافِقِيْنَ ، وَلِلبَشَرِ.. وَلِلنَّبَاتِ وَلِلْحَيَوانِ.

إضَافَةً إِلىٰ ذَلِكَ ، فالنَّبِيُّ ﷺ هُوَ النُّورُ ، والسِّرَاجُ المُنِيْرُ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالىٰ : ﴿ إِنَّآ

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[1] .

وَقَولُه سُبْحَانَهُ : ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[2] .

وَرَفَعَ الله سُبْحَانَهُ ذِكْرَ نَبِيِّنَا وَقَدْرِهِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب﴾[3] .

وَمِنَ الأَمْثِلَةِ عَلى رَفْعِ ذِكْرِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ : أَنَّ الله قَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ ، وَمِنْهَا : رَفْعُ ذِكْرِهِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، فَلَيْسَ خَطِيْبٌ وَلا مُتَشَهِّدٌ وَلا

---

(١) سورة الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦ .

(٢) سورة المائدة : ١٥ .

(٣) سورة الشرح : ١ ـ ٨ .

صَاحِبُ صَلاةٍ إلا يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ .

رَوَىٰ أَبو سعِيْدٍ الخُدْرِيُّ رَضيَ الله عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : أَتَانِي جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلام . فَقَالَ : إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُوْلُ : تَدْرِيْ كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ ؟ قُلْتُ : الله وَرَسُولُه أَعْلَمُ .

قَالَ : « إِذَا ذُكِرْتُ ، ذُكِرْتَ مَعِي » .

وَمَا أَكْثَرَ مَا وَرَدَتْ مَحَاسِنُهُ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ في القُرْآنِ الْكَرِيْمِ! مِنْ ذَلِكَ قَوْلُه سُبْحَانَهُ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة آل عمران : ٣١ـ ٣٢ .

الله يُقْسِمُ بِحَيَاةِ رَسُولِهِ ﷺ

تَعَالَوا أَيُّهَا الأَحِبّةُ البَرَاعِمُ لِنَنْتَقِلَ إلى زَاوِيَةٍ أُخْرَىٰ ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ التَّعَرُّفِ عَلَى مِقْدَارِ قَدْرِ المُصْطَفىٰ ﷺ .

في القُرآنِ الْكَرِيْمِ آيَةٌ تَدُلُّ بِوُضُوحٍ عَلَى نِهَايَةِ التَّعْظِيم ، وَعلى غَايَةِ التَّشْرِيْفِ ، حَيْثُ يُقْسِمُ الله تَعَالىٰ بِحَيَاةِ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَذَلِكَ ضِمْنَ سِيَاقِ الحَدِيْثِ عَنْ قِصَّةِ قَوْمِ لُوْطٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَفِي مُنْتَصَفِ القِصَّةِ يَقْطَعُ البَيانُ الإِلٰهِيُّ سَرْدَ الأَحْدَاثِ ، وَيَلْتَفِتُ

إلى خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ لِيَقُولَ لَهُ : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1] .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا : مَا خَلَقَ الله ، وَمَا ذَرَأَ ، وَمَا بَرَأَ نَفْساً أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَمَا سَمِعْتُ اللهَ تَعالىٰ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ .

وَزَادَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَنْ أَقْسَمَ بِبَلَدِهِ مَكَّةَ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾[2] .

وَجَمَعَ الله تَعَالىٰ لِرَسُوْلِهِ وُجُوْهَ الكَرَامَةِ ، وَأَنْوَاعَ السَّعَادَةِ في الدَّارَيْنِ ، وَذَلِكَ في سُوْرَةِ الضُّحَىٰ ، وَالَّتي يَقُولُ اللهُ فِيْهَا مُخَاطِباً نَبِيَّنَا ﷺ .

---

(١) سور الحجر : ٧٢ .

(٢) سورة البلد : ١ـ٢ .

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[1] .

وَعَلَّقَ الإِمَامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَىٰ هَذِهِ الآيَةِ بِقَوْلِهِ : لَيْسَت آيَةٌ في القُرآنِ أَرْجىٰ مِنْها ، وَلا يَرْضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النَّارِ.

* * *

(١) سورة الضحى : ٥ .

شَرِيْفُ مَنْزِلَتِهِ ﷺ عَلَىٰ الأَنْبِيَاءِ

تَعَالَوا يَا أَحِبَّتَنَا البَرَاعِمَ لِنَتَلَّمَس مَوْقِعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ ، قَالَ العُلَمَاء : لَقَدْ اخْتَصَّ الله خَاتَمَ الأَنْبِيَاءِ بِفَضْلٍ لَمْ يُؤْتِهِ غَيْرَهُ ، حَيْثُ مَيَّزَهُ بأنْ أَخَذَ المِيْثَاق عَلَى جَمِيْع الأَنْبِياء أَنْ يؤمِنُوا بِهِ وَيَنْصُرُوهُ ، فَلَمْ يَبْعَث نَبِيَّاً إلا ذَكَرَ لَهُ مُحَمَّداً وَوَصَفَهُ ، وَأَخَذَ عليه المِيْثَاقَ إِنْ أَدْرَكَهُ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ، وَيَنْصُرُوْنَهُ .

مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَولُ : عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كَلامٍ بَكَىٰ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي ، يَارَسولَ الله! لَقَد بَلَغَ مِنْ فَضيلتكَ عِنْدَ الله أَنْ بَعَثَكَ

آخِرَ الأنْبياءِ ، وَذَكَرَكَ في أَوَّلِهم ، فَقَالَ : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾[1] .

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يا رسولَ الله! لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا يُعَذَّبون ، يَقُولُون : ﴿يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾[2] .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٧ .

(٢) سورة الأحزاب : ٦٦ .

مِنْ كَرَامَاتِ المُصْطَفَىٰ ﷺ

وَلَقَد وَرَدَ في القُرآن آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلىٰ مَا أَظْهَرَه الله تَعَالىٰ لِلنَّبِيِّ صلوات اللهِ عليه مِنْ كَرَامَاتٍ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُه تَعَالى في سِيَاقِ الحَدِيْثِ عَنْ أَحْدَاثِ الهِجْرَةِ ، وَكَيْفَ تَآمَرَ المُشْرِكُونَ عَلَى قَتْلِهِ ﷺ ، وَكَيْفَ دَفَعَ اللهُ مَكْرَهُم ، وَأَذَاهُمْ : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[1] .

وقال : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ

---

(١) الأنفال : ٣٠ .

لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[1] .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً ، ردُّهُ تَعَالىٰ على أَحَدِ صَنَادِيْد قريْشٍ ، وَهُو (العَاصُ بْنُ وائِلٍ) ، وَذَلِك عِنْدمَا مَاتَ وَلَدُ النَّبِيِّ ﷺ إبراهيم ، فَرَاح يَسْتَهْزِىء بِهِ وَيَقُولُ أَمَامَ النَّاسِ : لَقَدْ بُتِرَ مُحَمَّدٌ!!

فَرَدَّ الله عَلَيْهِ بالقَول: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[2] .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً ، إِكْرَامُ اللهِ لَهُ بِرِحْلَةِ الإِسْرَاء وَالمِعْرَاجِ ، حَيْثُ بَيَّنَ لَهُ بِشَكْلٍ عَمَلِيٍّ مَقَامَهُ العَالِي

---

(١) سورة التوبة : ٤٠ .

(٢) سورة الكوثر : ١ـ٣ .

بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ ، وَبَيْنَ المَلائِكَةِ.. ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] . وقال : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ ۖ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[2] .

* * *

---

(١) سورة الإسراء : ١ .

(٢) سورة النجم : ١ ـ ١٨ .

« أَنا سَيِّد النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ »

وَنُتَابِعُ يَا أَحِبَّتَنَا مَعَ قَدْرِ المُصْطَفىٰ ، وَرَفيعِ مَنْزِلَتِهِ ، حَيْثُ ذُكِرَ تَفَضيْلُهُ ـ صلوات الله وَسَلامُهُ عليه ـ يوم القيامة ، مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُه ﷺ : « أَنَا سَيِّد وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَبِيَدِي لِوَاءَ الحَمْد وَلا فَخْرَ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ ، آدَمَ فَمَنَ سِوَاهُ ، إلا تحْتَ لِوَائِي ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلا فَخْرَ » .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً شَفَاعَتُهُ لِلْخَلقِ عَامَّةً ، وَلأُمَّتِهِ خَاصَّةً ، مِصْدَاقُ ذلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو مُوسَىٰ الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الجَنَّةَ ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَة فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ ، لأَنَّهَا أَعَمُّ ، أَتَرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِين ؟

لا . وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِيْنَ الخَطَّائِيْنَ » .

وَعِنْدَمَا سُئِلَ صلوات الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ عَنْ مَعْنَىٰ قَوْلِ الله تَعَالىٰ : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1] .

قَالَ : « هِيَ الشَّفَاعَةُ » .

وَفي الجَنَّةِ لَهُ صلوات الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ مَيِّزَةٌ عَظِيْمَةٌ ، حَيْثُ قَالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلام : « سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيْلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ في الجَنَّة ، لا تَنْبَغِي إلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُوْنَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ اللهِ لي الوَسِيْلَة حَلَّت عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ »

فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلىٰ الشَّفِيْعُ النَّذِيْرِ ، سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِيْنَ .

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

---

(١) سورة الإسراء: ٧٩.